طال المطال يا مال الشام

- من ذا الذي ألقى بهما هنا؟

صغيران
والشوارع عصية
في وسط المدينة
بين المقاهي والضجيج والمتاجر
في الشوارع مختلطة الأجناس
فيها أولاد الأنجاس
ومنها أولاد الناس
وهما، من هما؟!
لو توقّفا أمام طاولتك على المقهى
بوجهين مزقّهما التراب والعرق
ترتسم لوحة البؤساء
عيون الشام بندقية الومض
ألوان الأسمال مسروقة الفرح
وبسمة بريئة يتركاها على كفك
في وقفة التبادل التجاري المخزي
انفراجة شفتين وفرجة أسنان
ولؤلؤ صغير مرصوص
مقابل قطعة معدنية
قطعتين...ثلاثًا
كلما أغدقت فَتحتَ انفراجة أوسع
في الشام يعيش العوام

تحت القصف
أو يلوذون بأطراف الحدود
في انتظار الجود
من الشام يخرج الأثرياء
إلى مدن الاستهلاك
يتاجرون في اللقم
في الشام يعيش الموالون للنظام
والشام شام وشام وشام
وصغيران يتسولان
ومدن مهجر وطبقات وطوائف
والمحنة أن ترتسمَ الخرائط
على وجوه الأطفال
بالتراب والعرق
المحنة أن تجلس في المقهى؛
ليمرّا عليك
فتخجل أن تسأل
من ألقى بكما هنا؟
وكيف؟ ولم؟
وألف استفهام
قبل أن يطلب متسكع سمج
لقاء عطائه الزهيد
أن يصدح عصفوارن:
"يامال الشام والله يا مالي"